بحث وتتبع تاريخي

لمسألة الإقلاب والإخفاء الشفوي

الدكتور

سيد أحمد محمد دراز

أستاذ مساعد بقسم القراءات

بكلية أصول الدين جامعة أم القرى بمكة المكرمة

مُقَدِّمَة:

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجَا﴾ [الكهف:١] والصلاة والسلام على سيدنا محمد خير من قام بأداء القرآن وتعليمه وتبليغه، وعلى آله وأصحابه الذين تلقوا القرآن غضا طريا كما أنزل، وعلى أتباعه الذي أخذوا القرآن على خير القرون فحافظوا عليه ونشروه في ربوع الدنيا تصديقا بقول الصادق المصدوق: ((خيركم من تعلم القرآن وعلمه))[1] فنشروا الخير بين العباد واتصلت الأرض بالسماء فحققوا كلام الله فيهم ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ ﴾ [آل عمران:١١٠] .

وبعد:-

فلما أمر الله بترتيل القرآن وتجويده بقوله: ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾ [المزمل:٤] قام العلماء بتنفيذ هذا الأمر فرتلوه كما تعلموه وعلموا غيرهم كذلك، ثم وضعوا الضوابط التي تحكم هذا الأداء خشية الانحراف عن الأداء السديد، وكان من فضل الله علينا أن وصلنا ما دونوه من الأحكام التي تصف الأداء وصفا دقيقاً. وقد قام بعض العلماء الأثبات بالأداء السليم مع رعاية الأحكام وعدم الخروج عنها، فجمعوا بذلك بين الرواية والدراية. وكان من فضل الله عليهم أن يشتهر أمرهم، وأن يذيع صيتهم، وذلك لحرصهم على توصيل الحق والصواب إلى عباد الله. وعدم سكوتهم عن الخطأ دفاعا عن كتاب الله الذي هو دين الأمة وذلك من باب ((الدين

---

(١) البخاري ١٩١٩/٤ .

النصيحة))[1]. ثم قام من بعد هؤلاء قوم يعلمون القرآن وكل منهم يتكلم بمبلغ علمه واجتهاده، فحدث بعض الخلل، وذلك إما لخطأ في الرواية أو لعدم الدراية وقلة العلم والجهل بما قال علماء الأمة في هذا الشأن. وكان من ذلك ما استحدث في زماننا من كلام عن الإقلاب والإخفاء الشفوي من ترك فرجة بين الشفتين أثناء الأداء. فأردت أن أبين الحق بما قال سلفنا في هذه المسألة مع العلم بأني قد تلقيت بعكس ما قال هؤلاء المحدثون فجمعت بذلك الدراية إلى الرواية،وأظهرت الحقيقة لمن زاغ عن الطريق. فأسأل الله عزوجل أن يحفظنا من الزلل، وأن يعصمنا من الضلال، وأن يلهمنا رشدنا، بفضله ومنّه وجوده وكرمه. إنه ولي ذلك والقادر عليه وهو حسبنا ونعم الوكيل.

---

(١) البخاري ٣١/١ . مسلم ٧٤/١ .

خطة البحث

(١) تمهيد عن البحث .
(٢) إجمال الكلام عن أحكام النون الساكنة والتنوين .
(٣) تعريف الإقلاب .
(٤) تعريف الإخفاء الشفوي .
(٥) تفصيل عن الموضوع .
(٦) خلاصة البحث .

تمهيد :

(**١**) أثناء دراسة أحكام النون الساكنة والتنوين لاحظت أن هناك اختلافا بين من كتبوا عن **الإقلاب** في التطبيق .

(**٢**) وعند دراسة أحكام الميم الساكنة لاحظت أن البعض يفرق بين الحكم الخاص **بالميم الأصلية** وهو الإخفاء الشفوي عند الباء وبين الميم المنقلبة عن النون عند الباء ،وأن الأمر يتطلب تجلية الحقيقة .

ولذلك بعد الاستعانة بالله سوف أكتب بإجمال عن حكمي (النون الساكنة والتنوين) من ناحية و(الميم الساكنة) من ناحية أخرى عند ملاقاتهما لحروف الهجاء، ثم أكتب تفصيلا عن الحكمين الخاصين بالبحث وهما (الإقلاب) بالنسبة للنون و(الإخفاء الشفوي) بالنسبة للميم .

****

أولا: إجمال الكلام عن أحكام النون الساكنة والتنوين:

النون الساكنة هي النون التي لا حركة لها. وتكون في آخر الكلمة، وفي وسطها. **وأما التنوين فقال ابن الجزري في التمهيد** ((اعلم أن التنوين في القرآن هو نون ساكنة تلحق آخر الاسم تظهر في اللفظ وتسقط في

الخط)) [١]. فالتنوين حقيقته الصوتية أنه نون ساكنة، ولذلك فإنه يأخذ نفس حكم النون الساكنة. لكنه لا يكون إلا آخر الاسم .

- **وقد جعل العلماء للنون الساكنة والتنوين بالنسبة لما يأتي بعد كل منهما من حروف الهجاء أربعة أحكام.**
- فقال ابن الجزري في النشر ((وهي أربعة: [١]إظهار، [٢]وإدغام، [٣]وقلب، [٤]وإخفاء.)) [٢].
- **القسم الأول الإظهار** وهو أن يأتي بعد النون حروف الحلق . فقد قال ابن الجزري ((اعلم أن النون الساكنة والتنوين يُظهران عند ستة أحرف من حروف الحلق وهن: الهمزة والهاء والعين والحاء والغين والخاء))[٣]. **الأمثلة على ترتيب الأحرف** (ما تليه همزة) هي ﴿وَيَنْأَوْنَ﴾ الأنعام ٢٦] ﴿مَنْ آمَنَ﴾[البقرة:٦٢] ﴿كُلٌّ آمَنَ﴾ [البقرة:٢٨٥] (هاء): ﴿(أَنْهَارٌ﴾ [محمد:١٥]، ﴿مِنْ هَادٍ﴾ [الرعد:٣٣]، ﴿جُرُفٍ هَارٍ﴾ [التوبة:١٠٩] (عين): ﴿أَنعَمتَ﴾ [الفاتحة:٧] ﴿مِّنْ عَمَلِ﴾ [المائدة:٩٠]، ﴿عَذَابٌ عظِيمٌ﴾ [البقرة ٧]، (حاء): ﴿وَانْحَرْ﴾ [الكوثر٢]، ﴿مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢]، (غين) ﴿فَسَيُنْغِضُونَ﴾ [الإسراء:٥١]، ﴿مِّنْ غِلٍّ﴾ [الأعراف:٤٣] ﴿إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف:٥٩]، (خاء): ﴿وَالْمُنْخَنِقَةُ﴾ [المائدة:٣]، ﴿مِّنْ خَيْرٍ﴾ [البقرة:١٠٥]. ﴿قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ [الزخرف: ٥٨] ثم قال ابن الجزري: ((والعلة في إظهار ذلك عند هذه الحروف أن النون والغنة بَعُدَ مخرجهما عن مخارج

---

(١) التمهيد لابن الجزري ١٦٥ .

(٢) النشر في القراءات العشر لابن الجزري ٧١٥ باب أحكام النون الساكنة والتنوين.

(٣) التمهيد لابن الجزري ١٦٥ .

حروف الحلق. وإنما يقع الإدغام في أكثر الكلام لتقارب المخـــارج، فإذا تباعدت وجب الإظهار الذي هو الأصل.

وقد ذكر بعض القراء في كتبهم أن الغنة باقيـــةٌ فيهمـــا [أي عنـــد إظهارهما] وذكر شيخ الداني- فارس بن أحمد [ت ٤٠١ هـــ] - في مصنف له أن الغنة ساقطة منهما إذا أُظهِرا. وهو مذهب النحـــاة ، وبه صرحوا في كتبهم[١]، وبه قرأت على كل شيوخي ما عدا قراءة يزيد والمسيبي))[٢].

- **القســم الثــاني الإدغــام عنــد حــروف (يرملــون). لكــنهم قسموها إلى قسمين:**

(١) **الإدغام الكامل أي بدون غنة في (الـــلام والـــراء).** قـــال ابـــن الجزري((إدغامهما في اللام والراء إدغاما كاملا بلا غنة))[٣] **الأمثلة على الإدغام الكامل** ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ﴾ [البقرة:٢٤]﴿هُدًى لِّلْمُـــتَّقِينَ ﴾ [البقرة٢] ﴿مِّن رَّبِّهِمْ﴾ [البقرة:٥] ﴿ثَمَرَةٍ رِّزْقاً﴾ [البقرة:٢٥] .

تعليل وقوع الإدغام كاملا هنا . علل ابن الجزري لإدغام النـــون والتنوين إدغاماً كاملاً عند اللام والراء فقال ((وعلة ذلك قـــرب مخـــرج النون والتنوين من مخرج اللام والراء، لأنهن من حروف طـــرف اللســـان فتمكَّن الإدغامُ وحَسُن لتقارب المخارج ،وذهبت الغنة لأن حق الإدغـــام

---

(١) الخصائص لابن جني ٣٦٣/١ .

(٢) التمهيد لابن الجزري ١٦٥ .

(٣) التمهيد لابن الجزري ١٦٥ .

ذهاب لفظ الحرف الأول بكليته وتصييره بلفظ الثاني . و لم تقع النون الساكنة قبل اللام والراء في كلمة))[١].

(٢) الإدغام الناقص، وهو في أربعة أحرف، وقد جمعوها في كلمة (ينمو) وقد عد هذا الإدغام ناقصا لأنه غير مستكمل التشديد ، لبقاء الغنة وهي بعض الحرف[٢]. **الأمثلة على الإدغام بغنة** ﴿عَن نَّفْسٍ﴾ [البقرة:٤٨] ﴿حِطَّةٌ نَّغْفِرْ﴾ [البقرة:٥٨]،﴿ مِن مَّالٍ﴾ [المؤمنون:٥٥]، ﴿مَثَلاً مَّا﴾ [البقرة:٢٦]، ﴿مِن وَالٍ﴾ [الرعد:]، ﴿وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ﴾ [البقرة:١٩]، ﴿مَن يَقُولُ﴾ [البقرة:٨]، ﴿وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ﴾ [البقرة:١٩].

- **علة هذا الإدغام الناقص:**

قال ابن الجزري ((وعلة الإدغام في النون اجتماع المثلين والأول ساكن، وفي الواو والياء أن الغنة التي فيها [أي في النون وأختها] أشبهت المد واللين اللذين فيهما [أي في الواو والياء] فحسن الإدغام لهذه المشابهة. وعلة الإدغام في الميم الاشتراك في الغنة فتقاربا بهذا فحسن الإدغام. ولا يجوز إدغام النون الساكنة في الواو والياء إذا اجتمعا في كلمة نحو: ﴿صِنْوَانٌ﴾ [الرعد:٤]، و﴿الدُّنْيَا﴾ [البقرة:٨٥] لئلا يشبه مضاعف الأصل نحو (صوَّان) و(ديَّا)). ثم قال ((واختلف أهل الأداء في الغنة التي تظهر مع إدغام التنوين والنون في الميم هل هي غنتهما أو غنة الميم ؟ فذهب ابن كيسان وموافقوه إلى أنها غنة النون، وذهب الداني وغيره إلى أنها غنة الميم. وبه أقول لأن النون قد زال لفظها بالقلب [يقصد بالإدغام، لأنها به تنقلب إلى ميمٍ] وصار مخرجهما من مخرج الميم فالغنة له))[٣].

---

(١) التمهيد لابن الجزري ١٦٥ .

(٢) ينظر التمهيد لابن الجزري ١٦٥ .

(٣) التمهيد لابن الجزري ١٦٥ .

- **لماذا عدّ إدغاماً ناقصاً:** وهذا الكلام الأخير يثير تساؤلا عن سر اعتداد إدغام النون والتنوين في النون إدغاما ناقصا مع استيفائه شرط إدغام المثلين. وقد عالج ابن الجزري هذه المسألة في كتابه النشر بعد عرض آراء الأئمة فيها فقال ((**والتحقيق في ذلك** أن يقال إن أريد بإدغام (النون) والتنوين في غير مثلهما فإنه لا وجه لذكر (النون) في حروف الإدغام، وإن أريد بإدغامهما مطلق ما يدغمان فيه فلابد من ذكر (النون) في ذلك. ولاشك أن المراد هو هذا لا غيره فيجب حينئذ ذكر (النون) فيها))[(١)].
- **القسم الثالث الإقلاب وهو قلب النون الساكنة والتنوين ميما عند حرف الباء :**

ولذلك قال ابن الجزري ((الإقلاب..... فإذا أتى بعد النون الساكنة والتنوين باء قلبت ميما من غير إدغام))[(٢)]. **الأمثلة على الإقلاب** ﴿أَنبِئْهُم﴾ [البقرة:٣٣]، و﴿ مِن بَعْدِ﴾ [البقرة:٢٧]، و﴿ صُمٌّ بُكْمٌ﴾ [البقرة:١٨].

تعليل القلب وحكم الغنة فى هذا القسم :

قال ابن الجزري ((والغنة ظاهرة في هذا القسم وعلة ذلك أن الميم مؤاخية للنون في الغنة والجهر ومشاركة للباء في المخرج فلما وقعت النون قبل الباء و لم يمكن إدغامها فيها لبعد المخرجين، ولا أن تكون ظاهرة لشبهها بأخت الباء وهي الميم، أبدلت منها لمؤاخاتها النون والباء))[(٣)].

وهذا القسم سوف نتناوله بالتفصيل بعد عرض الكلام عن النون والميم.

---

(١) النشر في القراءات العشر لابن الجزري ٧١٩ باب أحكام النون الساكنة .

(٢) التمهيد لابن الجزري ١٦٥ .

(٣) التمهيد لابن الجزري ١٦٥ .

- **القسم الرابع الإخفاء وهو إخفاء النون الساكنة والتنوين عند باقي حروف الهجاء:**

قال ابن الجزري ((إخفاء النون الساكنة والتنوين عند باقي الحروف وهي خمسة عشر حرفا))[1]. وقد جمعها صاحب تحفة الأطفال في أوائل كلمات هذا البيت:

(((صِفْ ذَا ثَنَا كَمْ جَادَ شَخْصٌ قَدْ سَمَا ... دُمْ طَيِّباً زِدْ فِي تُقَىً ضَعْ ظَالِمَا))[2].. (فهي ص، ذ، ث، ك، ج، ش، ق، س، د، ط، ز، ف، ت، ض، ظ).

الأمثلة على الإخفاء (حسب الترتيب النصرى لحروف الهجاء): ﴿كُنتُمْ﴾ [البقرة:٢٣]، و﴿مَن تَابَ﴾ [هود:١١٢]، و ﴿جَنَّاتٍ تَجْرِي﴾ [البقرة:٢٥]، و﴿الأُنثَى﴾ [البقرة:١٧٨]، ﴿مِن ثَمَرَةٍ﴾ [البقرة:٢٥]، ﴿قَوْلاً ثَقِيلاً﴾ [المزمل]، ﴿أَنجَيْتَنَا﴾ [يونس:٢٢]، ﴿إِن جَعَلَ﴾ [القصص:٧١]، ﴿خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [الرعد:٥]، ﴿أَندَاداً﴾ [البقرة:٢٢]، ﴿مِن دَابَّةٍ﴾ [الأنعام:٣٨]. ﴿وَكَأْساً دِهَاقاً﴾ [النبأ]، ﴿أَأَنذَرْتَهُمْ﴾ [البقرة:٦]، ﴿مِن ذَهَبٍ﴾ [الكهف:٣١]، ﴿وَكِيلاً. ذُرِّيَّةَ﴾ [الإسراء]، ﴿تَنزِيلُ﴾ [السجدة:٢]، ﴿مِّن زَوَالٍ﴾ [إبراهيم] ﴿صَعِيداً زَلَقاً﴾ [الكهف]، و﴿الإِنسَانُ﴾ [النساء:٢٨]، ﴿مِن سُوَءٍ﴾ [آل عمران:٣٠] ﴿وَرَجُلاً سَلَماً﴾ [الزمر:٢٩]، ﴿فَأَنشَرْنَا﴾ [الزخرف:١١] ﴿إِن شَاء اللَّهُ﴾ [البقرة:٧٠]، ﴿غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر]، ﴿الأَنصَارِ﴾ [التوبة:١٠٠]، ﴿أَن صَدُّوكُمْ﴾ [المائدة:٢]، ﴿جِمَالَتٌ صُفْرٌ﴾ [المرسلات]، ﴿مَّنضُودٍ﴾ [هود]، ﴿مَّن ضَلَّ﴾ [المائدة:]، ﴿وَكُلاً ضَرَبْنَا﴾ [الفرقان:٣٩]، ﴿الْمُقَنطَرَةِ﴾ [آل عمران:١٤]، ﴿مِّن طِينٍ﴾ [الأنعام:٢]، ﴿صَعِيداً طَيِّباً﴾ [النساء:٤٣]، [ط٢/٢٧] ﴿يُنظَرُونَ﴾ [البقرة:٢١٠]، ﴿مِّن ظَهِيرٍ﴾ [سبأ]،

---

(١) التمهيد لابن الجزري ١٦٥ .

(٢) تحفة الأطفال – البيت رقم ١٦ .

﴿ظِـــلاًّ ظَلِيلاً﴾ [النساء]، ﴿فَانفَلَقَ﴾ [الشـعراء:٦٣]، ﴿مِن فَضْـــلِهِ﴾ [البقـرة:٩٠]، ﴿خَالِداً فِيهَا﴾ [النساء:١٤]، ﴿انقَلَبُواْ﴾ [يوسف:٦٢]، ﴿مِن قَرَارٍ﴾ [ابـراهيم]، ﴿سَمِيعٌ قَرِيبٌ﴾ [سبأ]، ﴿ الْمُنكَرِ﴾ [آل عمران:١٠٤]، ﴿مِّن كِتَابٍ﴾ [آل عمران:٨١]، ﴿كِتَابٌ كَرِيمٌ ﴾ [النمل].

تعليل إخفاء النون عند هذه الحروف .

عرض ابن الجزري لهذا التعليل فقال: ((وعلة ذلك [الإخفاء] أن هذه النون صار لها مخرجان: مخرج لها ومخرج لغنتها فاتسعت في المخرج فأحاطت عند اتساعها بحروف الفم فشاركتها بالإحاطة فخفيت عندها. واعلم أن الغنة تخرج من الخيشوم كما تقدم والخيشوم خرق الأنف المنجذب إلى داخل الفم".

- **هل تختلف درجة الإخفاء:**

قال ابن الجزرى "واعلم أن إخفاءهما على قدر قرب الحروف وبعدها فما قرب منهما كان أخفى عندهما مما بعد عنهما. وتقدم الكلام على الفرق بين الإخفاء والإدغام واحذر إذا أتيت بالغنة أن تمد عليها، فذلك قبيح)) [(١)].

ثانياً: إجمال الكلام عن الميم الساكنة:

وأما الميم الساكنة فلـــها ثلاثـــة أحكـــام وهـــي (١) الإدغـــام (٢)والإخفاء (٣) والإظهار قال ابن الجزري في النشر عن الميم ((وأما إذا كان ساكناً [أي الميم] فله أحكام ثلاثة)) [(٢)].

---

(١) التمهيد لابن الجزري ١٦٥ .

(٢) النشر في القراءات العشر لابن الجزري ٣٧٣ باب التجويد .

الحكم الأول الإدغام في حرف الميم قال ابن الجزري في النشر ((**الأول الإدغام**) بالغنة عند (ميم) مثله كإدغام (النون) الساكنة عند (الميم) ويطلق ذلك في كل (ميم) مشددة نحو: ﴿دَمَّرَ﴾ [محمد:١٠] .... ، و﴿أَم مَّنْ أَسَّسَ﴾ [التوبة:١٠٨].)) [(١)].

الحكم الثاني الإخفاء عند حرف الباء وهو ما يسميه المحدثون **بالإخفاء الشفوي** قال ابن الجزري في النشر ((**(الثاني الإخفاء)** عند (الباء) على ما اختاره الحافظ أبو عمرو الداني وغيره من المحققين. وذلك مذهب أبي بكر بن مجاهد وغيره. وهو الذي عليه أهل الأداء بمصر والشام والأندلس وسائر البلاد الغربية[(٢)] وذلك نحو: ﴿يَعْتَصِم بِاللّهِ﴾ [آل عمران:١٠١])) .....

الخلاف فى هذا الحكم :

قال ابن الجزري في النشر ((وقد ذهب جماعة كأبي الحسن أحمد بن المنادي[ت ٣٣٦ هـ] وغيره إلى إظهارها عندها [أي إظهار الميم الساكنة عند الباء] إظهاراً تامّاً ،وهو اختيار مكي القيسي وغيره. وهو الذي عليه أهل الأداء بالعراق وسائر البلاد الشرقية[(٣)]. وحكى أحمد بن يعقوب التائب إجماع القراء عليه (**قلت**) [ابن الجزرى] والوجهان صحيحان مأخوذ بهما، إلا أن الإخفاء أولى للإجماع على إخفائها عند

---

(١) النشر في القراءات العشر لابن الجزري ٣٧٣ باب التجويد .

(٢) التعريف بالبلاد الغربية وهي مصر وما جاورها والشام والأندلس .

(٣) التعريف بالبلاد الشرقية وهي العراق وما جاورها بلاد الحجاز واليمن والخليج العربي .

القلب. وعلى إخفائها في مذهب أبي عمرو حالة الإدغام[١] في نحو ﴿بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾ [الأنعام:٥٣])) .

وهذا الحكم هو الذي سنتكلم عنه تفصيلا بعد ذلك .

الحكم الثالث الإظهار عند باقي الأحرف أي ما عدا الميم والباء ، قال ابن الجزري في النشر ((**(الحكم الثالث)** إظهارها عند باقي الأحرف نحو: ﴿الْحَمْدُ﴾ [الفاتحة:٢] و﴿أَنعَمتَ﴾ [الفاتحة:٧]،و ﴿هُمْ يُوقِنُونَ﴾ [البقرة ٤]، و﴿لَهُمْ عَذَابٌ﴾ [البقرة ٧] ،﴿أَنَّهُمْ هُمُ﴾ [المؤمنون:١١١]،﴿عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ﴾ [البقرة:٦]، ﴿مَعَكُمْ إِنَّمَا ﴾ [البقرة:١٤] لا سيما إذا أتى بعدها (فاء) أو (واو) فليعن بإظهارها لئلا يسبق اللسان إلى الإخفاء لقرب المخرجين نحو: ﴿هُمْ فِيهَا﴾ [البقرة:٣٩]،و﴿يَمُدُّهُمْ فِي﴾ [البقرة:١٥]، ﴿عَلَيهِمْ وَلاَ﴾ [الفاتحة:٧] ، ﴿أَنفُسَهُم وَمَا﴾ [البقرة:٩] . فيتعمل اللسان عندهما ما لا يتعمل في غيرهما[٢]. وإذا أظهرت[٣] في ذلك فليتحفظ بإسكانها وليحترز من تحريكها.)) [٤].

ونظراً إلى أن الغنة خصيصة مشتركة بين النون والميم فسأعرف بها أولاً.

ثالثاً: الغنة:

---

(١) أي إذا قرأ أبو عمرو بالإدغام الكبير فإنه يخفي (الميم) في (الباء) في المثال الآتي وذلك لأن (الميم) متحركة .

(٢) المقصود من ذلك التكلف وزيادة الرعاية عند هذين الحرفين .

(٣) قوله (وإذا أظهرت) للدلالة على أن هناك من قال بإخفائها عند هذين الحرفين ينظر الموضح في التجويد ١٧٣ وجمال القراء ٥٣٦ .

(٤) النشر في القراءات العشر لابن الجزري ٣٧٣ باب التجويد .

تعريف الغنة **لغة** قال صاحب لسان العرب ((الغُنَّة صوت في الخَيْشُوم وقيل صوت فيه ترخيمٌ نحوَ الخياشيم تكون من نفْس الأَنف ..... **المبرد:** الغُنَّة أَن يُشْرَبَ الحرفُ صوتَ الخيشوم، والخُنَّة أَشد منها والترخيم حذف الكلام غَنَّ يَغَنُّ وهو أغنُّ. وقيل الأَغَنُّ: الذي يخرج كلامه من خياشيمه وظبي أَغَنُّ يخرج صوته من خَيْشومه))[١].

وفي الاصطلاح قال الشيخ السخاوي في فتح الوصيد ((الغنة صوت من الخياشيم وهي فرع عن النون، ولا عمل للسان فيها وله عمل في النون ودليله أن صوتها يمتنع عند الإمساك على الأنف وهي تصحب الميم والنون ففي الميم الأغن صوتان : أحدهما الشفة، والآخر من الخيشوم. وللنون مخرجان: أحدهما من طرف اللسان، والآخر من الخيشوم))[٢].

والغنة عند علماء الصوت المحدثين عبارة عن اندفاع الهواء الزامر الخارج من احتكاك الوترين الصوتيين عبر اللهاه إلى تجويف الخيشوم. ثم تمر من خلال الخياشيم (أعلى الأنف) إلى فتحات الأنف إلى الخارج .

تفصيل الحكمين

وسوف أتكلم إن شاء الله عن الحكم الثالث في النون وهو الإقلاب. ثم عن الحكم الثاني في الميم وهو **الإخفاء الشفوى** .

أولاً: إقلاب النون :

---

(١) لسان العرب مادة (غنن) ٣١٥/١٣ .

(٢) فتح الوصيد للسخاوي ٤١٥/٢ .

الإقلاب لغة: قال صاحب لسان العرب ((القَلْبُ تَحْويلُ الشيءِ عن وجهه قَلَبه يَقْلِبُه قَلْباً وأَقْلَبه)) [١].

وأما في الاصطلاح:

فقال سيبويه في الكتاب عن الإقلاب ((وتقلب النون مع الباء ميماً لأنها من موضع تعتل فيه النون)) [٢].

وقال ابن الجزري ((وأما القلب: فهو عبارة عن الحكم المشهور من الاحكام الأربعة المختصة بـــ(النون) الساكنة والتنوين وهو إبدالهما عند لقائهما الباء (ميما) خالصة تعويضا صحيحا لا يبقي (للنون) والتنوين أثر)) [٣].

سبب الإقلاب:

قال سيبويه في الكتاب ((وتقلب النون مع الباء ميماً، لأنها من موضع تعتل فيه النون، فأرادوا أن تدغم هنا إذ كانت الباء من موضع الميم، كما أدغموها فيما قرب من الراء في الموضع، فجعلوا ما هو من موضع ما وافقها في الصوت بمنزلة ما قرب من أقرب الحروف منها في الموضع، ولم يجعلوا النون باءً لبعدها في المخرج، وأنها ليست فيها غنةٌ. ولكنهم أبدلوا من مكانها أشبه الحروف بالنون وهي الميم، وذلك قولهم: ممبك، يريدون: من بك. وشمباء وعمبرٌ، يريدون شنباء وعنبراً.)) [٤].

---

(١) لسان العرب مادة (قلب) .

(٢) الكتاب لسيبويه ٤/٤٥٣ ، ٤٥٤ .

(٣) التمهيد لابن الجزري ٧٠ .

(٤) الكتاب لسيبويه ٤/٤٥٣ ، ٤٥٤ .

وقال ابن الجزري في التمهيد **مايمكن أن يعد شرحاً لكلام سيبويه** السابق: ((إن (الميم) مؤاخية (للنون) في الغنة والجهر، ومشاركة (للباء) في المخرج. فلما وقعت (النون) قبل (الباء) لم يمكن إدغامها فيها لبعد المخرجين، ولا أن تكون ظاهرة لشبهها بأخت (الباء) وهي (الميم)، فأبدلت منها لمؤاخاتها (النون) و(الباء)))[1].

بيان السخاوى ٦٤٣هـ سبب الإقلاب والكلفة فى عدمه:

بل إن كل من يكتب في التجويد يعزو سبب الإقلاب إلى التكلف الذى يسببه الإتيان بـــ (النون) الساكنة أو التنوين مظهرين قبل (بـــاء). ولذلك قال السخاوي (المتوفى ٦٤٣هـــ)- في فتح الوصـــيد: ((قلبـــهما [أي: (النون) والتنوين] ميماً عند (الباء) في الانفصال، فأما حالة الاتصال فلا يكون القلب إلا (للنون) ومثال ذلك ﴿أَن بُورِكَ﴾ [النمل:٨]، و﴿سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [الحج:٦١]، و﴿خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [آل عمران:١٥٣]. ومثال الاتصال ﴿أَنبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ﴾ [البقرة:٣٣][2]. وإنما قلبا عنـــد (الباء)(ميمـــا) **لأن الإظهار** لايحسن، لأن فيه كلفة من أجل احتياج الناطق به إلى إخـــراج (النون) من مخرجها على ما يجب لها من التصويت بالغنة التي تخرج مـــن الخيشوم، فتحتاج إلى فتور يشبه الوقف، وإن لم يفعل ذلك لم تخرج على ما يجب لها إذ كان إخراج (الباء) من مخرجها يمنع من التصويت بالغنة من

---

(١) التمهيد لابن الجزري ١٦٨ .

(٢) يلحظ أنه جاء هنا بمثال للميم الأصلية مع أمثلة للميم المنقلبة مما يعنى أنه ينظر إليهـــا نظرة واحدة تماماً .

أجل انطباق الشفتين بـــ(الباء)[1]. وأما إظهارهما مع حروف الحلق فـــإن الشفتين لاتنطبقان هناك. **والإدغام** أيضا لا يحسن للتباعد في المخـــرج، والمخالفة في الغنة المختصة بـــ (النون) دون (الباء). فلما وقع التباعد في المخرج والمخالفة في الجنسية بطل الإدغام. ألا ترى أن (الميم) من مخـــرج (الباء) ومع ذلك لا تدغم (الميم) في (الباء) لذهاب غنتـــها بالإدغـــام. فبالأولى أن لا تدغم فيها (النون) التي ليست من مخرجها. والسبب الذي امتنع له إدغام (الميم) (فى الباء) موجود في (النـــون)" [يعـــني الغنـــة]. "والإخفاء أيضا لايحسن [أي: إخفاء (النون) والتنوين في (الباء)] كما لا يحسن الإظهار، لأن اللفظ بـــ (الباء) يمنع إتمام الصوت بالغنة. فلمـــا لم يحسن وجه من هذه الأوجه الثلاثة [أي: الإظهار ، والإدغام، والإخفـــاء للنون والتنوين في (الباء)] لم يبق إلا القلب. و(الميم) تشارك (البـــاء) في الجهر والمخرج، وتشابه (النون) في الغنة والجهر ، فكانـــت أولى بهـــذا التوسط من سائر الحروف.

سبب عدم إقلاب النون عند الواو مجانسة الباء. قال: "وإنمـــا لم يقلبا عند (الواو) (ميما) كما قلبا عند (الباء)- وإن كانت (الواو) مـــن مخرج (الباء)، لأن (الواو) تخالف (الميم) في اللين والمد و تتجـــافى عنـــها الشفتان بخلاف (الباء) فإنها توافق (الميم) في لزوم الشفتين.

سبب شمول قلب النون عند الباء حالتي الاتصال والانفصال. قال وإنما كانت النون في الإدغام [يعنى إدغامها فى الواو والياء] مقصورة على المنفصل، وفي الانقلاب يستوي المتصل والمنفصل، لأنها في المتصـــل لـــو

---

(١) في أصل الكتاب بـــ(الواو) وهو خطأ .

أدغمت لالتبس ، كما سبق. وفي الانقلاب لا إلباس، لأنه لم تقع مـــيم ساكنة قبل الباء في كلمة قط فيخشى الإلباس، ولأن القلب لابد معه من التصويت بالغنة في الحرف المنقلب. وإذاً لا تشديد هناك يخرجـــه عنـــه، فارتفع الالباس من كل وجه))[١].

حكم هذه النون المنقلبة مع بعدها :

أ- **ننظر إلى هذا فى ضوء القاعدة العامة فى التقـــاء حـــرف بـــآخر.**

(والأمر فى الميم الساكنة مع الباء لايخرج عن الإدغام أو الإظهار أو الإخفاء. و لم أذكر الإقلاب لأنه هنا قد وقع فعلاً، وإنما نتعامل مـــع نتيجته وهى الميم).

من المعلوم عند التقاء المتماثلين أو المتجانسين أو المتقاربين يكون (١)الإدغام (٢) أو الإخفاء، (٣) وقد يكون الإظهار.

ومعلوم أن الإدغام يكون إدغاما كاملا وناقصا. **والكامل** يكون بدخول الحرف الأول في الثاني بحيث لا يبقى له أثر، اللهم إلا التشديد. ولذلك قال الشيخ عبد الوهاب القرطبي في الموضح ((فالتشديد هو إدخال حرف في حرف،..... فبالتشديد يدخل الحرف ويغيب.))[٢].

والناقص: هو ما يبقى معه أثر للحرف الأول كالغنة من (النون) و (الميم)، ولكننا نستصحب صوت الحرف **الثاني** من أول وهلة – أي أن صوت الحرف الثاني يظل مصاحبا للحرف الأول- بخلاف الإخفاء فاننا لا ننطق بالحرف الثاني إلا بعد أن نترك الحرف الأول.

---

(١) فتح الوصيد للسخاوي ٢/٤١٣ ، ٤١٤ ، ٤١٥ .

(٢) الموضح في التجويد ١٥٧.

وبتطبيق ما سبق يتبين لنا وجه **منع العلماء إدغام** (الميم) في (الباء)، لأن الميم بها غنة والإدغام الكامل سيؤدي إلى تركها. **والإدغام الناقص** غير ممكن لأننا لن نستطيع استصحاب صوت (الباء) مع غنة (الميم). فلم يبق إلا الإخفاء أو **الإظهار**. وقد قال البعض بالإظهار، كما قال الداني في التحديد والإتقان: ((وقال آخرون هي مبيّنة للغنة التي فيها. قال أبو الحسين بن المنادي: أخذنا عن أهل الأداء بيان الميم الساكنة عند الواو والفاء **والباء** في حسن من غير إفحاش. وقال أحمد بين يعقوب التائب: أجمع القراء على تبيين الميم الساكنة وترك إدغامها إذا لقيتها باء في جميع القرآن. قال وكذلك الميم عند الفاء. وذهب إلى هذا جماعة من شيوخنا وحكاه أحمد بن صالح عن ابن مجاهد)) [(١)].

ولكن الإظهار (الذى هو التبيين) في المتماثلين والمتجانسين لا يمكن الوصول إليه وصلا، وإنما يكون بسكتة لطيفة بين الحرفين. ولذلك قال **ابن مهران** في المبسوط: ((واعلموا أن الحرف الساكن إذا لقيه حرف مثله لا يجوز إظهاره (يعنى بل يجب إدغامه) نحو قوله: ﴿فَمَا زَالَت تِّلْكَ﴾ [الأنبياء:١٥]، و﴿وَقَد دَّخَلُواْ﴾ [المائدة:٦١]، و﴿اضْرِب بِّعَصَاكَ﴾ [البقرة:٦٠]، و﴿وَاذْكُر رَّبَّكَ﴾ [آل عمران:٤١] وكل ما أشبه ذلك من المثلين يلتقيان والأول منهما ساكن لايجوز إظهاره ولا يكون فيه إلا الإدغام. وكذلك إذا كان مخرجهما واحدا (يعنى **متجانسين**) والأول منهما ساكن لم يجز إظهاره أيضا نحو: ﴿إِذ ظَّلَمُواْ﴾ [النساء:٦٤]، و﴿لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ﴾ [النساء:١١٣] ، و﴿قَالَت طَّائِفَةٌ﴾ [آل عمران:٧٢]،و﴿لَقَد تَّقَطَّعَ﴾ [الأنعام:٩٤]،و﴿أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا﴾ [يونس:٨٩] ، و﴿لَقَد تَّرَكْنَا﴾ [العنكبوت:٣٥] وأشباه ذلك. وعلى

---

(١) التحديد والإتقان ١٦٦.

هذا إجماع القراء وكلام العرب. ولا تنظر إلى قول من أظهر منه شيئا في القرآن في رواية شاذة بعيدة غير صحيحة، وإنما الاعتماد على ما أجمعوا عليه و لم يختلفوا فيه. والله اعلم))[1].

قلت: ما قاله ابن مهران إنما يكون **وصلا** وبدون سكت بين الحرفين. ولذلك قال **أبو شامة** في إبراز المعاني: ((كل مثلين التقيا وأولهما ساكن فواجب إدغامه في الثاني لغة وقراءة. وسواء كان ذلك في كلمة نحو ﴿يُدْرِككُّمُ﴾ [النساء:٧٨] أو في كلمتين))[*].

قلت: وعلى ذلك فالإظهار لن تكون معه غنة اصطلاحية –أي بمقدار حركتين– لأنه سيفصل بين الحرفين، اللهم إلا إذا قصد بالإظهار إظهار الغنة الاصطلاحية وإبقاؤها وعدم تركها، وحينئذ يلتقي مع الإخفاء وهو ما سأتكلم عنه.

إخفاء الميم :

وإذ قد امتنع **إدغام** الميم فى الباء بنوعيه كاملاً وناقصاً، وامتنع **الإظهار** كذلك لما ذكرناه الآن فلم يبق إلا الإخفاء وهو ما سماه العلماء بالإخفاء الشفوي لكون (الميم) و(الباء) حرفي شفة، وهو الذي أخذ به

---

(١) المبسوط لابن مهران ٨٨ ، ٨٩ .

(*) قال: ((وفي ﴿مَالِيهْ. هَلَكَ﴾ [الحاقة:٢٨، ٢٩] خلاف. والمختار الوقف على﴿مَالِيهْ﴾ [الحاقة:٢٨]، فإن وصل لم يتأت الوصل إلا بالإدغام أو تحريك الساكن)). ثم قال عن مكي: ((قال: وبالإظهار قرأت وعليه العمل، وهو الصواب إن شاء الله قلت: يعني بالإظهار أن يقف على ﴿مَالِيهْ﴾ [الحاقة:٢٨] وقفة لطيفة. وأما إن وصل فلا يمكن غير الإدغام أو التحريك)). وكذلك نقله في النشر.

جمهور العلماء والمحققون منهم.، ولذلك قال الهذلي في الكامل: ((وقد يكون إخفاء من غير إدغام، وإدغام من غير إخفاء. فأما **الإخفاء** فنحو (الميم) في (الباء)، و(الباء) في (الميم). **وأما الإدغام** فكـــ(الباء) و(العين) في مثلها، وشبه ذلك))[١]. وقد اتفق العلماء على أن يكون الإخفاء بغنة، وذلك لأن (الميم) حرف أغن. وذهاب الغنة يؤدي إلى ذهاب الحرف الأول وهو (الميم) أو إدغامه إدغاما تاما. وهو ما لم يحدث هنا لأنه لا يوجد تشديد على (الباء)، ولذلك سميت الغنة في (النون) الساكنة والتنوين عند (العين) و(الخاء) في قراءة أبي جعفر بالإخفاء الحقيقي. مع العلم: بأن الغنة في (النون) والتنوين تظهر عندهما لباقي القراء.

والأصل في الإخفاء أن يكون للنون :

قال **سيبويه** في الكتاب ((وتكون النون مع سائر حروف الفم حرفاً خفيّاً مخرجه من الخياشيم؛ وذلك أنها من حروف الفم، وأصل الإدغـــام لحروف الفم، لأنها أكثر الحروف، فلما وصلوا إلى أن يكون لها مخرجٌ من غير الفم كان أخف عليهم أن لا يستعملوا ألسنتهم إلا مرة واحدة، وكان العلم بها أنها نون من ذلك الموضع كالعلم بها وهي من الفم، لأنه لـــيس حرفٌ يخرج من ذلك الموضع غيرها، فاختاروا الخفة إذ لم يكن لـــبسٌ، وكان أصل الإدغام وكثرة الحروف للفم. وذلك قولك: ﴿مَـــن كَـــانَ﴾ [البقرة:٩٧] ، و ﴿وَمَن قَالَ﴾ [الأنعام:٩٣] ، و﴿مَن جَاء ﴾ [الأنعام:١٦٠].))[٢].

ثم إن علماء التجويد أطلقوا كلمة الإخفاء أيضا على **الميم عند لقائها الباء** والمحدثون يسمونه الإخفاء الشفوي كما فى نصوصهم.

---

(١) الكامل للهذلي ٢٨٩ .

(٢) الكتاب لسيبويه ٤/٤٥٣ ، ٤٥٤ .

وأرى أن سبب هذا الخلاف هو اعتماد المحدثين على التعريفات أو فهم كلام بعض العلماء في التفريق بين الإقلاب في النون والإخفاء الشفوي في الباء.

* وعند تطبيق هذا الإخفاء –أي الشفوي– قال البعض بإبقاء فرجة بين الشفتين سواء أكانت (ميما) صحيحة أو منقلبة عن (النون) أو التنوين. وهذا يدعونا إلى تحرير الكلام عن كيفية الإخفاء المراد هنا .

تعريف الإخفاء :

الإخفاء لغة: هو مصدر أخفى قال صاحب لسان العرب ((أَخْفَيْتُ الشيءَ سَتَرْتُه))[١].

وأما في الاصطلاح: فسنقتصر على تعريفه الذى يشمل الميم لأنه هو موضوعنا الآن فقد قال عبد الوهاب القرطبي في كتابه الموضح عن **الإخفاء** ((والإخفاء هو اتصال حرف بحرف ..... وبالاتصال يخفى ويستتر. ولهذه العلة لم يكن الإخفاء إلا في حرفي الغنة (النون) و(الميم)، لأن الاتصال لا يتأتى إلا فيهما، لأن الصوت إذا جرى في الخيشوم أمكن اتصال الحرفين من غير إظهار ولا تشديد))[٢].

---

(١) لسان العرب مادة (خفا) .

(٢) الموضح في التجويد ١٥٧.

وقال الشيخ زكريا الأنصاري في الدقائق المحكمة ((النطق بحرف بصفة بين الإظهار والإدغام عار عن التشديد مع بقاء الغنة في الحرف الأول.))[١].

كلام العلماء عن الإخفاء الشفوي:

قال الداني في التحديد والإتقان ((فإن التقت الميم بالباء نحو: ﴿آمَنتُم بِهِ﴾ [يونس:٥١]، ﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا﴾ [الحاقة:٢٤]، ﴿كُنتُم بِهِ﴾ [يونس:٥١]، ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِاللّهِ﴾ [آل عمران:١٠١]،﴿ أَم بَعِيدٌ﴾ [الأنبياء:١٠٩] فعلماؤنا مختلفون في العبارة عنها، فقال بعضهم هي **مخفاة** لانطباق الشفتين عليهما كانطباقها على أحدهما، وهذا مذهب ابن مجاهد في ما حدثنا به الحسين بن علي عن أحمد بن نصر عنه قال: والميم لا تدغم في الباء لكتها تخفى، لأن لها صوتا في الخياشيم تؤاخي به النون الخفيفة. وإلى هذا ذهب شيخنا علي بن بشر- رحمه الله-. قال أبو العباس محمد بن يونس النحوي المقرئ في أهل اللغة من يسمي الميم الساكنة عند الباء إخفاء قال. وقال سيبويه المخفى بوزن المظهر .

وقال آخرون هي مبينة للغنة التي فيها قال أبو الحسين بن المنادي أخذنا عن أهل الأداء **بيان** الميم الساكنة عند الواو والفاء والباء في حسن من غير إفحاش. وقال أحمد بين يعقوب التائب: أجمع القراء على **تبيين** الميم الساكنة وترك إدغامها إذا لقيهتا باء في جميع القرآن قال وكذلك الميم عند الفاء. وذهب إلى هذا جماعة من شيوخنا وحكاه أحمد بن صالح عن ابن مجاهد وبالأول أقول))[٢].

---

(١) الدقائق المحكمة ٧٠ .

(٢) التحديد والإتقان ١٦٦.

- **كلام العلماء عن عدم التفرقة بين (الميم) المنقلبة عن (النون) والتنوين، (والميم) الأصلية:-**

قال أبو عمرو الداني – المتوفى ٤٤٤هـ – في التحديد والإتقان ((والحالة الثالثة أن يقلبا (يعنى النون والتنوين) ميما من غير إدغام، وذلك إذا لقيا الباء نحو: ﴿أَن بُورِكَ﴾ [النمل:٨]،و﴿أَنبِئْهُم ﴾ [البقرة:٣٣]،و ﴿جُدَدٌ بِيضٌ﴾ [فاطر:٢٧]،و ﴿ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا﴾ [النور:٤٠]وما أشبهه. وإنما قلبا ميما عنها خاصة من أجل مؤاخاة الميم للنون في الغنة ومشاركتها للباء في المخرج فقلبا ميما من أجل ذلك))[1]. ويلحظ أنه لم ينبه على أن للميم هنا صورة خاصة في النطق .

وقال عبد الوهاب القرطبي – المتوفى ٤٦١ هـ – في الموضح ((ثم بعد قلبها ميما يتحول اللفظ إلى الإخفاء لأن حظ الميم إذا سكنت أمام الباء الإخفاء، وغنة النون والميم عند الباء تشتبه **فلا يوجد في اللفظ فرق** بين قوله ﴿أَم بِظَاهِرٍ مِّنَ الْقَوْلِ﴾ [الرعد:٣٣]، ﴿أَم بِهِ جِنَّةٌ﴾ [سبأ:٨]وبين قوله ﴿أَنبَتَكُم مِّنَ الأَرْضِ﴾ [نوح:١٧] ، ﴿أَنبِئُونِي﴾ [البقرة:٣١]سواء كان ما قبل الباء نونا أو ميما لا فرق بينهما كله في اللفظ سواء))[2].

وقال الشهرزوري – المتوفى سنة ٥٥٠- في كتاب المصباح في القراءات العشر: ((ويخفيها [أي أبو عمرو] إذا تحرك ما قبلها كقوله تعإلى: ﴿ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام:٥٨]...)) إلى أن قال:((وما أشبهها، ولا يشدد (الباء) بعدها إذا أخفاها، وتكون مخففة لأنه إخفاء ليس بإدغام.

---

(١) التحديد والإتقان ١١٥ .

(٢) الموضح للقرطبي ١٧٥ .

ولأن (الميم) في التقدير أكثر من (الباء) وتبقى الغنة منها فتخفف (البـــاء) بعدها (أى لا تشدد). ألا ترى أنك لا تشددها إذا انجزمت (الميم) قبلـــها كقوله: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ﴾ [المائدة:٤٤] ،وكقوله ﴿قَـــالَ رَبِّ احْكُم بِالْحَقّ﴾ [الأنبياء:١١٢]، وكقوله ﴿فَـــاحْكُم بَيْـــنَهُم﴾ [المائـــدة:٤٨]، وكقوله ﴿فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقّ﴾ [ص:٢٦] وما أشبهها. والباء في هذه الحروف كـــ (الباء) من قوله: ﴿بَغْياً بَيْنَهُمْ﴾ [آل عمـــران:١٩] ،و ﴿قَآئِمَـــاً بِالْقِسْطِ﴾ [آل عمران:١٨]،و ﴿خَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾ [الشورى:٢٧]، وما أشـــبهها. لأن (النون) الساكنة والتنوين يصيران عند الباء (ميما) فيكون (الباء) بعـــدها وبعد (الميم) في التخفيف سواء. فاعلم)) [(١)].

قال ابن الباذش– المتوفى ٥٤٠– في كتابه الإقناع : ((ومن ذلك الميم عن الباء نحو ﴿وَكَذَّبْتُم بِهِ﴾ [الأنعام:٥٧]، و﴿وَمَـــن يَعْتَصِـــم بِاللّـــهِ﴾ [آل عمران:١٠١]، و﴿هَنِيئاً بِمَا﴾ [الحاقة:٢٤]، و﴿صُمٌّ بُكْمٌ﴾ [البقرة:١٨] [(٢)] ونحوه كثير. فاختلفت عبارات القراء عنه. بعـــد إجمـــاعهم –إلا مـــن شـــذ، وسنذكره– **على أن الإدغام لا يجوز**. فقال ابن مجاهد ((و الميم لا تدغم في الباء ولكنها **تختفي** لأن لها صوتا من الخياشيم تـــؤاخي بـــه النـــون الخفيفة)). ثم قال ((وقال لي أبو الحسن بن شريح فيه بالإظهار ولَفَظَ لي به فأطبق شفتيه على الحرفين إطباقا واحدا)) [(٣)].

---

(١) المصباح في القراءات العشر مخطوط ١٥٢ .

(٢) يلحظ هنا أيضاً جمع ابن الباذش فى الأمثلة بين الميم الأصلية والميم المنقلبة .

(٣) الإقناع لابن الباذش ١١٠ ، ١١١ .

والمقصود بالإظهار هنا هو إظهارالغنة الاصطلاحية، ولذلك بينه بالتطبيق العملي، فكان إخفاء كما تكلم عنه أولا، فهو اختلاف في التسمية والحقيقة واحدة.

ثم قال صاحب الدر النثير في شرح كتاب التيسير –الشهير بالمالقي والمتوفى ٧٠٥ هـ– قال في كتابه ((وحقيقة القلب هنا: أن تلفظ بـ ميم ساكنة بدلا من النون الساكنة والتنوين، و يتحفظ من سريان التحريك السريع. ومعيار ذلك أن تنظر كيف تلفظ بـ الميم في قوله ﴿الْخَمْرِ﴾ [البقرة:٢١٩]، و﴿وَالشَّمْسَ﴾ [الأنعام:٧٨] فتجد الشفتين تنطبقان حال النطق بـ الميم ولا تنفتحان إلا بالحرف الذي بعدها. وكذا ينبغي أن يكون العمل فيها [أي في الميم] قبل الباء. فإن شرعت في فتح الشفتين قبل تمام لفظ الميم سرى التحريك إلى الميم وهو من اللحن الخفي الذي ينبغي التحرز منه. ثم تلفظ بـ الباء متصلة بـ الميم ومعها تنفتح الشفتان بالحركة وليحرز عليها ما تستحقه من الشدة والقلقلة))[1].

ونلحظ هنا بيانا دقيقا لعدم الفصل بين الميم الأصلية والمنقلبة حيث تكلم عن الميم المنقلبة ثم مثل بميم أصلية فى كلمتى (خمر) و(شمس) فالذى يلزم فرجة بين الشفتين قبل الباء سيوجب فرقا بين مخرج الميم عند الغنة والاداء وبين مخرج الباء التي تلزم الشفة. ولذلك قال صاحب الاقناع: "إلا أن يريد القائلون بالإخفاء انطباق الشفتين على الحرفين انطباقا واحدا فذلك ممكن في الباء وحدها (يعنى فى الميم مع الباء وحدها لا مع الفاء أو الواو) في نحو (أكرم بزيد). فأما في الفاء والواو فغير ممكن فيها الإخفاء

---

(١) الدر النثير والعذب النمير للمالقي ٧٠٥ .

إلا بازالة مخرج الميم من الشفتين. وقد تقدم امتناع ذلك. فإن أرادوا بالإخفاء أن يكون الإظهار رقيقا غير عنيف فقد اتفقوا على المعنى واختلفوا في تسميته إظهارا أو إخفاءا ولا تأثير لذلك. وأما الإدغام المحض فلا وجه له))[1].

فهذا كله صريح أو كالصريح في عدم الفرق بين الميم الأصلية والميم المنقلبة عند ما تليهما الباء وهما ساكنتان ،ولذلك قال ابن الجزري في النشر: ((قلت: وقد زل بسبب ذلك قوم أطلقوا قياس ما لا يروى على ما روي، وما له وجه ضعيف على الوجه القوي، كأخذ بعض **الأغبياء** بإظهار (الميم) المنقلبة من (النون) والتنوين))[2].

وأضيف أنا أن العرب لم يفرقوا بين حرف أصلي وآخر منقلب عن غيره سواء أكان حرفا صحيحا أو معتلا. والذي اختاره المحققون من العلماء عند التقاء (الميم) بـ(الباء) سواء أكانت (الميم) صحيحة أو منقلبة عن (نون) أو تنوين هو الإخفاء كما سبق.

كيفية الإخفاء الشفوى

ظهر مما سبق أن السبب في هذه المسألة هو التعبير عند القراء عن التقاء النون بالباء بالإخفاء، وظن البعض أن إطباق الشفتين على هذه الميم عند الإخفاء هو من قبيل **الإدغام** أو الإظهار. ولذلك أردت أن أبين الإظهار والإدغام في **هذه المسألة** من خلال نصوص كلام العلماء السابقين حتى لا يكون هذا بمجرد اجتهادي .

---

(١) الإقناع لابن الباذش ١١٢.

(٢) النشر في القراءات العشر ٢٢/١.

قال عبد الوهاب القرطبي في كتابه الموضح ((فأما كيفية اللفظ بالمظهر فأن يكون قطعك مخرج الحرف المظهر بإسكانه وأخذك في الحرف المتحرك بعده في زمان واحد ووقت واحد من غير إبطاء يوهم التشديد ولا إزعاج يأخذ بك إلى الإقلاق والتحريك . هذا مع إخلاص سكون الساكن وإشباع حركة المتحرك))[1].

قلت ومثال ذلك هو (الميم) الساكنة التي بعدها (فاء) أو (واو) كـ﴿هُمْ فِيهَا﴾ و ﴿عَلَيهِمْ وَلاَ﴾ .

وقال أيضاً ((**فالتشديد** = (الإدغام) هو إدخال حرف في حرف، **والإظهار** هو قطع حرف عن حرف، والإخفاء هو اتصال حرف بحرف . فبالتشديد يدخل الحرف ويغيب ، وبالقطع يظهر ويبين ،وبالاتصال يخفى ويستتر. ولهذه العلة لم يكن الإخفاء إلا في حرفي الغنة (النون) و(الميم) ،لأن الاتصال لا يتأتى إلا فيهما، لأن الصوت إذا جرى في الخيشوم أمكن اتصال الحرفين من غير إظهار ولا تشديد))[2]. قال أيضا ((وامتازت (الميم عنها) [أي عن الباء] بمزية الغنة فامتنع الإدغام فلم يبق إلا الإخفاء ،وقد اختلف القراء في العبارة عنها فقال بعضهم هي **مخفاة** لانطباق الشفتين عليهما كانطباقهما على أحدهما . وهو مذهب ابن مجاهد قال ابن مجاهد و(الميم) لا تدغم في (الباء) ولكنها تخفى لأن لها صوتا من الخياشيم تؤاخي به النون الخفية.....". وقال بعضهم: "أجمع القراء على تبيين (الميم) الساكنة في جميع القرآن إذا لقيت" (باء) . والأول هو القول . فأما عبارة بعضهم عن ذلك بالبيان فالذي عندي أنهم لم يريدوا البيان الذي

---

(١) الموضح في التجويد ١٥٨.

(٢) الموضح في التجويد ١٥٧.

هو التفكيك والقطع [أي الإظهار] لأن ذلك إذا لفظ به جاء في الغاية من الثقل والاستبشاع ،وإنما أرادوا بالبيان عدم الإدغام، لأن جماعة من أغمار القراء ذهبوا إلى أنه إدغام. فسموه بيانا لينبهوا على أنه ليس بإدغام وأن كان إخفاء))[١].

ولذلك قال ابن الباذش في الإقناع :((قال لي أبي وما ذكر عن الفراء من إخفاء النون عند الباء فوجه ذلك أنه سمّى الإبدال إخفاء كما سمى **الإدغام** في موضع آخر من كتابه **إخفاء**، فيرجع الخلاف إلى العبارة لا إلى المعنى، إذ الإخفاء الصحيح في هذا الموضع لم يستعمله أحد من المتقدمين والمتأخرين في تلاوة ولا حكوه في لغة ،وكذلك ما ذكر عن ابن مجاهد في إخفاء الميم عند الباء قول متجوز به على سيبويه . فعلق عبارة الفراء على مذهب سيبويه. فإن كان عنده من التحصيل ما عند الفراء فعذره ما ذكرنا ،وإن كان أراد غير ذلك فهو افتيات على سيبويه))[٢].

وقال أبو حيان في ارتشاف الضرب ((و**تقلب** [النون] ميما عند الباء وبعضهم يعبر **بالإبدال**. قيل وهو إجماع من العرب. وزعم الفراء أن النون عند الباء مخفاة كما تخفى عند غيرها من حروف الفم ويؤول قوله على أنه سمى البدل إخفاء وقد أخذ بظاهر عبارته قوم.))[٣].

---

(١) الموضح في التجويد ١٧٣.

(٢) الإقناع لابن الباذش ١١٢.

(٣) ارتشاف الضرب ٧١٢/٢.

الرد على من قال بترك فرجة بين الشفتين:

* سبق قول السخاوى: ((لأن (الواو) تخالف الميم في اللين والمد، وتتجافى عنها الشفتان، بخلاف الباء فانها توافق الميم في لزوم الشفتين)) .
فهذا رد صريح على من أوجب، أو قال بترك فرجة بين الشفتين.
ولذلك كان الإقلاب تجاوزا للمشقة ومنعا للحرج. وكان الإخفاء الشفوي هو التطبيق السديد. فهم متفقون على **ثقل** النطق بـ (النون) التي بعدها (باء)، ثم يقولون عند تطبيق الإخفاء الشفوي لابد من ترك فرجة بين الشفتين.

ثم إنه ما دام وجود الفرجة واجبا ومستطاعا فما الداعي للإقلاب من الأصل. إن هذا الذي يقال ويسمع منتهى التناقض، ولذلك سأذكر كلام العلماء القدماء والمحدثين في هذا لنعلم أن القول بترك فرجة هو قول لا أصل له، ناهيك عن أنه متناقض.

* وقد نقلت عبارة **ابن الجزري** في التمهيد عن الإقلاب قال: ((بحيث لا يبقى للنون أثر)) . ومن هنا كانت عبارات العلماء عن كيفية الإخفاء الشفوي سواء أكانت الميم صحيحة أو منقلبة بعد اتفاقهم على لزوم انطباق الشفتين، ويكون هذا الانطباق قويا أو ضعيفا .

* قال الشيخ **زكريا لانصاري** –المتوفى سنة ٩٣٦- في كتابه تحفة نجباء العصر :((وينبغي الاحتراز عن كز الشفتين عند النطق بـ الميم لئلا يتولد منه تمطيط من الخيشوم))[1].

---

(١) تحفة نجباء العصر ٣٥ .

* وقال صاحب جهد المقل المرعشي –المتوفى ١١٥٠– في كتابه: ((إن قلت ما معنى قلب النون الساكنة ميما مخفاة مع الغنة قبل الباء، مع أن ذات الميم ملفوظة غير معدومة لما في الرعاية أن الغنة ظاهرة هنا في نفس الحرف الأول انتهى. إذ لو عدمت ذات الميم لكانت الغنة ظاهرة بالاستقلال لا في نفس الحرف الأول. فلو قلنا أن ذات الميم معدومة كما في إخفاء النون الساكنة والتنوين في مثل ﴿عَنكَ﴾ [التوبة:٤٣] لكان قلب الساكنة والتنوين إليها [أي عند الباء] لغوا وهو ظاهر. **قلت**: فالظاهر أن معنى إخفاء الميم ليس بإعدام ذاتها بالكلية، بل إضعافها وستر ذاتها في الجملة **بتقليل الاعتماد** على مخرجها وهو الشفتان، لأن قوة الحرف وظهور ذاته إنما هو بقوة الاعتماد على مخرجه. وهذا كإخفاء الحركة في ﴿لاَ تَأْمَنَّا﴾ [يوسف:١١] إذ ذلك ليس بإعدام للحركة بالكلية بل تبعيضها وسيأتي. وبالجملة: إن الميم والباء يخرجان بانطباق الشفتين، والباء أدخل وأقوى انطباقا كما سبق في بيان المخارج، فتلفظ بـ(الميم) في ﴿أَن بُورِكَ﴾ [النمل:٨] بغنة ظاهرة وبتقليل انطباق الشفتين جدا، ثم تلفظ بـ(الباء) قبل فتح الشفتين بتقوية انطباقهما، **وتجعل** المنطبق من الشفتين في الباء أدخل من المنطبق في الميم ، فزمان انطباقهما في ﴿أَن بُورِكَ﴾ أطول من زمان اطباقهما في (أبورك) [أي بدون نون] وزمان انطباقهما في الميم أطول من زمان انطباقهما في الباء لأجل الغنة الظاهرة حينئذ في الميم إذ الغنة الظاهرة يتوقف تلفظها على امتداد ولو تلفظت بإظهار الميم هنا لكان زمان انطباقهما فيه كزمان انطباقهما في الباء لإخفاء الغنة حينئذ، وتقوى انطباقهما في إظهار الميم فوق انطباقهما في إخفائه لكن دون قوة

انطباقهما في الباء إذ لا غنة في الباء أصلا بخلاف الميم الظاهرة فإنهـــا لا تخلو من أصل الغنة وإن كانت خفية، والغنة تورث الاعتماد ضعفا.))[1].

الكلام عن الاحتراز عن كز الشفتين(أى بكون إطباق الشفتين خفيفاً):

* **يلحظ** قوله ((فتلفظ بـــ الميم في ﴿أَن بُورِكَ﴾ [النمل:٨] بغنة ظاهرة و**بتقليل** انطباق الشفتين جدا، ثم تلفظ بـــ الباء قبل فتح الشفتين بتقوية انطباقهما))، وكذا قول العلماء كما ذكرنا بعدم كز الشفتين عند الغنة وهذا الاحتراز الذي ذكره العلماء –وهو عدم كز الشفتين عند الإخفاء وكزهما عند النطق بـــ الباء – هو في الحقيقة تقرير للواقع. وذلك لقول المرعشي ((والغنة تورث الاعتماد ضعفا)) .

* **وتفسير ذلك من الناحية الصوتية** أنه عند إخفاء الميم والغنة فإن الهواء يندفع إلى فتحة اللهاة ومنها إلى الخيشوم فيقل عندها – أي الغنة- الاعتماد على المخرج – أي مخرج الميم- فتنطبق الشفتان بخفة ثم ينـــدفع الهواء مرة ثانية إلى الشفتين عند النطق بـــ الباء فيحدث الكز ليتمكن الفم من النطق بـــ(الباء).

* **فالملاحظ** أن ما قاله العلماء من خفة انطباق الشفتين عند الغنـــة وهو ما قالوا عنه بعدم الكز، ثم الضغط أو الكز عند الباء هـــو وصـــف صوتي لما يحدث عند النطق وليس احترازا كما يزعم البعض. وكـــذلك الخفة عند الباء أو عدم الكز لا يتمكن معه الفم من النطق بـــ الباء لأنـــه حرف شديد كما أن الكز عند الميم يؤدي إلى الإدغام.ومن أراد أن يفرق بين النطقين فلينطق كلمة ﴿وَأَمَّا﴾ [آل عمـــران:٥٧] ثم ينطق كلمة ﴿وَأَبّـــاً﴾ [عبس:٣١].

---

(١) جهد المقل للمرعشي ٢٠١، ٢٠٢.

* ولذلك قال محمد الميهي –من علماء القرن الثالث عشر- في كتابه فتح الملك المتعال في شرح تحفة الأطفال ما نصه: ((تجويد الإقلاب: فإذا قلبت النون الساكنة والتنوين عند الباء ميما فاحترز أيها القارئ من كز الشفتين [لئلا يتولد] غنة من الخيشوم ممططة وسكن الميم بتلطف من غير ثقل وتفصح في ذلك، والله أعلم))[١].

* وقال محمد مكي – المتوفى ١٣٢٢هـ- في كتابه نهاية القول المفيد - وبعد نقله لكلام المرعشي، ثم نقله لكلام الميهي- قال :((وليحترز عند التلفظ به من كز الشفتين على الميم المقلوبة في اللفظ لئلا يتولد من كزهما غنة من الخيشوم ممطة فليسكن الميم بتطلف من غير ثقل ولا تعسف))[٢].

* ثم قال الشيخ الضباع– المتوفى ١٣٧٦- في كتابه منحة ذي الجلال في شرح تحفة الأطفال بعد ما تكلم عن الإقلاب والسبب فيه، فقال: ((ووجه قلبهما عسر الإتيان بالغنة فيهما مع إظهارهما ثم إطباق الشفتين لأجل الباء [فيحدث ما يشبه الوقف والفتور] ولم يدغما فيها لاختلاف نوع المخرج وقلة التناسب، فتعين الإخفاء وتوصل إليه بالقلب ميما لتشارك الباء مخرجا والنون غنة. وليحترز القارئ عند النطق به من كز الشفتين على الميم المقلوبة في اللفظ لئلا يتولد من كزهما غنة من الخيشوم ممطة ،فليسكن الميم بتلطف من غير ثقل ولا تعسف))[٣].

---

(١) فتح الملك المتعال في شرح تحفة الأطفال للميهي ٢٣ .

(٢) نهاية القول المفيد ١٢٧ ، ١٢٨.

(٣) منحة ذي الجلال في شرح تحفة الاطفال ٥٤ .

* ثم قال الشيخ الحصري –المتوفى ١٤٠١- في كتابه أحكام قراءة القرآن الكريم فنقل كلام المرعشي ثم قال محقق الكتاب محمد طلحة بلال منيار في تعليقه على كلام المرعشي عند قوله :((يعني بتقليل الاعتماد على مخرجهما وهو الشفتان)) . قال: ((بإطباق الشفتين بخفة ولين وعدم كزهما لأن معنى إخفاء الحرف هو تقليل الاعتماد عليه . **والقراء يخطئون فيه من وجهين:**

الأول: إطباق الشفتين إطباقا كاملا –أي كزهما- بحيث يتولد عن هذا الإطباق غنة ممطة فهذا خطأ لأنه يؤدي إلى إظهار الميم في حين أن المراد إخفاؤها مع الغنة.

الثاني: تجافي الشفتين أو فتح الفم عند القلب وهو يؤدي إلى إخفاء النون الساكنة والمراد إخفاء الميم المقلوبة عن النون. ويزعم بعض القراء أنه لابد من ترك فرجة بين الشفتين حالة أداء القلب والإخفاء الشفوي لتحقيق الإخفاء في الميم عند الباء فيقعون في خطأين:١- ذهاب الميم بالكلية وإبدالها بنطق ميم.

٢- مد الحرف بحيث يتولد منه حرف من قبيل حركة الحرف الذي قبل النون الساكنة مثل﴿هُم بَارِزُونَ﴾ [البقرة:٧٤] و﴿مِن بَعْدِ﴾ [غافر:١٦] [هوم بارزون] [مين بعد] والنطق الصحيح هو بإطباق الشفتين بخفة كما سلف))[(١)].

---

(١) أحكام قراءة القرآن الكريم ١٨٠ .

استخلاص:

وهكذا نصل بالتتبع التاريخي إلى أنه لم يقل أحد من العلماء بفتح الفم عند الإخفاء الشفوي أو الإقلاب، بل الذي وقف عنده العلماء أن النون لا يمكن أن تخفى في الباء فلابد من قلبها ميما حتى يمكن الإخفاء. أبعد قلبها ميما تعود في التطبيق والأداء نونا مرة ثانية وذلك بفتح الشفتين؟

ولذلك لم أجد من قال بفتح الشفتين أو بضرورة ذلك إلا ما نقل عن **الشيخ عامر** عثمان. فقد قال غانم قدوري الحمد في كتابه الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ((وكان الشيخ عامر عثمان –وهو أحد علماء القراءة في الأزهر، ومحقق الجزء الأول من كتاب لطائف الإشارات لفنون القراءات للقسطلاني مع الدكتور عبد الصبور شاهين- لا يقبل ممن يقرأ عنده إطباق الشفتين عند نطق الميم قبل الباء، ويأبي إلا انفراجهما. وذلك عند ترددي عليه للقراءة سنة ١٩٧٥م ،وقت إقامتي في القاهرة لدراسة الماجستير، ولكني لم أجد في كتب علم التجويد ما يؤكد هذا الاتجاه في فهم إخفاء الميم))[1].

قلت: ما قاله صواب يشهد له هذا التتبع التاريخي لهذه القضية.

الاحتجاج بالأداء:

بقى لهؤلاء الذي يتكلمون عن الإخفاء الشفوي بفتح الشفتين بأنه الأداء والتلقي/ وأن (القراءة سنة متبعة يأخذها الآخر عن الأول): نقول بأن الأداء قد حسم بما نقل عن العلماء وقد سبق نقل كلامهم وما أثر

---

(١) الصوتية عند علماء التجويد لغانم قدوري الحمد ٣٩٤ .

عنهم. وأما عن التلقي فقد تلقينا بعدم فتح الشفتين، وكذلك تلقت أمم كثيرة وليس ما تلقيتموه بأفضل، وهذا هو السبيل الأمثل للاداء الدقيق — أي عندما تتعاضد الرواية والدراية- .

* وأما عن قول ابن مجاهد ((القراءة سنة متبعة يأخذها الآخر عن الأول))[1] فهذا الكلام ليس على إطلاقه، وليس حجة للذين يخطئون في الأداء أو ينقلون ما ليس صحيحا، بل هي قاعدة تقال عند نقل القراءة الصحيحة المضبوطة والتي يعضدها نقل العلماء الأثبات. وأما الذين يَضِلون في الأداء أو يخطئون في النقل فليست حجة لهم، بل هي حجة عليهم. ولذلك نجد العلماء الكبار قد وضعوا الضوابط والقواعد للرجوع إليها عند الخطأ أو اللبس، كما فعل سيبويه وغيره في وضع ضوابط المخارج والصفات للحروف. وكان لزاما على طالب التجويد أن يتعلمها ليتقن دراسة التجويد، بل إن كل من كتب في التجويد جعل لها بابا خاصا.

وقد أطلت الكلام هنا لحاجة القراء إليه في الأداء، ولتبيين وجه الحقيقة في هذه المسألة التي كثر فيها القيل والقال، ولكثرة أدعياء العلم في هذا المجال. فأردت أن أثبت الحقيقة ليتجلى الصبح لذي عينين .

---

(١) السبعة لابن مجاهد ٥٢ .

خلاصة البحث

(١) أن الدراية بعلم الأصوات أصبحت لها ضرورة قصوى في علم التجويد إذ به يتم الفصل في القضايا الجوهرية .

(٢) أن الكلام عن الفرق بين النون والميم هو مجرد كلام نظري لا علاقة له بالتطبيق .

(٣) أن من قال بترك فرجة في الإقلاب والإخفاء الشفوي لا حجة له من كلام القدماء ولا المحدثين .

(٤) أن معتمد من قال بترك الفرجة هو مجرد تحليلات لكلام العلماء لا وجود له في الواقع التطبيقي .

(٥) أن ما تحدث عنه المحدثون من احتراز بعدم كز الشفتين أيضا مقصود به نفي الكز لا نفي التقاء الشفتين في نطق الميم .